وقد قلنا آخرًا انَّ المسيو پاولوف قد بيّن انَّ عمل الهضم ليس هو عملًا ميكانيكيًا محضًا بل اثبت ايضًا انَّ للنفس الحيَّة فيهِ عملًا

وقد تقرَّر الآن انَّ اعظم محرّك في النفس يسهّل لها الهضم انَّما هو شهوة الطعام. فان هذه الشهوة ربَّما اثارت كلَّ مظاهر الهضم حتى بلا اكل

ان الجميع يعلمون انَّ رائحة الطعام تثير الشهوة وتزيد مائيَّة الفم فالشهوة اذن تحرك الغدد الرضابية وتجري لعابها. ولكن لم يعرف العلماء قدر هذا المحرّك قبل ان يختبرها الدكتور پاولوف على الكلاب. فانهُ كان يترك احد كلابهِ المقطوعة البلعوم مدةً بلا طعام ثم يقدّم لهُ قطعة من اللحم يلوكها الكلب بقابليَّة لكنَّها تخرج من طرف البلعوم المقطوع دون ان تبلغ المعدة. ومع ذلك ترى المعدة تسير في عملها وتفرز عصارتها كأنَّها اغتذت باللحم حقيقةً

وقد غذا الدكتور پاولوف كلبًا مدة ساعات متوالية بهذه الطريقة وجمع ما افرزتهُ معدتهُ من المائيَّة فبلغت ٧٥٠ غرامًا

والحيوان لا يفرز فقط هذا السائل بمضغ الاطعمة بل بمجرَّد نظرهِ اليها. فقدّم مثلًا لكلب مربوط قطعة من اللحم ترَ للحال غدد معدتهِ تفرز العصارة التي تساعد على الهضم. فان اطعمتهُ القطعة هضمها للحال

وفي كل ذلك دليل على ان الحيوان ليس هو مجرَّد غدد ليس لها سوى حركات ميكانيكيَّة بل ترى نفسهِ ايضًا فعلٌ عظيم في اعمالهِ الغذائيَّة وهذه القوى هي مصدر ملذَّاتهِ وشواعرهِ. ولا بُدَّ ان يُضاف في الانسان لهذه القوى قوَّتان أخريان اعلى رتبةً وهما الارادة والعقل. فسبحان الخالق ما اعظم حكمتهُ (لهُ بقيَّة)

الندامة

روايةٌ عصريَّة

بقلم نجيب افندي مشلاني

كان العمُّ ابو نمر يسكن احدى قرى البقاع ولهُ من الارزاق الواسعة ما يجعلهُ من اغنياء ناحيتهِ. ومع سعة ذات يدهِ ما كان ليتنكف من ملاحظة اراضيهِ وفلاحتها وزراعتها

بنفسهِ . وكان مع هذا لا يحيد عن مناهج آبائهِ في دينهِ وسذاجة طباعهِ ويؤثر في أهل بيتهِ الفضائل المسيحيَّة والتقوى والآداب على الزخرفة الباطلة والبهرج الفارغ

بيد ان ابا نمر مع ثروتهِ كان بخيلاً شديد الحرص على مالهِ يقتر على عيالهِ غاية ما امكنهُ . وكان لهُ ولدان ابنة تدعى زمرُّد وصبيّ اسمهُ فارس . وكان جعل الفتـاة في مدرسة انشأتهـا راهبات قلبي يسوع ومريم الاقدسين في قريتهِ فتلقَّنت التعليم الديني وتعلَّمت اصول القراءة والكتابة واتقنت الاشغال اليدويَّة وهي مثـال حيّ للحشمة واللطف والوداعة يشهد لحسن آدابها كل اهل القرية

اما فارس فسلَّمهُ ابوهُ الى معلم القرية سنة او سنتين لكنهُ احسَّ بعد قليل انَّ هذه المبادئ العلمية لا تفي بالحاجة في عصر راجت فيهِ سوق المعارف لاسيَّما انهُ رأى بعض اترابهِ من اهل القرية قد دخلوا في مدارس داخليَّة محكمة التدبير حسنة المبادئ واصابوا فيها نجاحاً لكنهُ توقَّف عن ارسال ابنهِ اليها اقتصاداً على مالهِ

وبينما هو في التفكير اذ قدم القرية ناظر احدى المدارس البروتستانية واخذ ينشد في مدرستهِ ويطرئ علومها ويرغب ابا نمر في ارسال ابنهِ اليها . فتسنَّع هذا بادئ بدء خوفاً على دين ولدهِ وآدابهِ . لكنَّ الناظر لم يزل يسوِّل لهُ الامر ويتهاود في حق كفالة ابنهِ فارس حتى كاد يقبلهُ مجَّاناً في مدرستهِ . فاعمى شيطان المال ابا نمر ونسي ان افضل مدرسةٍ ما رُوعيت فيها آداب الاحداث وواخى فيها الدينُ العلمَ بحيث يجريان في ميدانٍ واحد كفرسي رهان واخوي لبان وان الاقتصاد في ذلك خطأ . ومن ثم سلَّم ابنهُ فلذة كبدهِ الى طالبهِ بعد ان اوصاهُ بهِ

دخل فارس المدرسة الداخليَّة واختلط بفتية اجتمعوا فيهـا على اختلاف مذاهبهم وادیانهم واكثرهم اكبر منهُ سنًّا ودونهُ سذاجةً . فما مرَّ عليهِ بضعة شهور حتى « تفتَّح » وتخلَّق باخلاقهم وتزيَّا بزيهم وادَّعى انهُ « صار متمـدناً » . اما الدين فكان غاية ما يعرف منهُ بعض فصولٍ من التوراة تقرأ لهُ مرَّتين في الاسبوع . ويضيف القارئ الى قراءتهِ تنفيذاً « بالخرافات الكاثوليكيَّة والتعاليم البابويَّة »

على انَّ فارساً وقت العطلة السنويَّة كان يعود الى بيت ابيهِ فيتصوَّن من المعـايب امامهُ فيظنُّ والدهُ انَّهُ باقٍ على ايمانهِ متمسك بمُرى الآداب السليمة

بقي فارس في المدرسة خمس سنوات تعلم في اثنائها مع العلوم اللبس المهندم وفرق

الشعر وضفره والاكل على الطاولة بالشوكة والملعقة والسكين ووضع الاطياب وما شاكل ذلك. ولما خرج منها وذهب الى بيت ابيه لم تعد السكنى فيه تطيب له وصار يرى كل شيء فيه غير لائق له وبمقامه حتى انه انتهى الى ان يخجل بابيه ذاته وبامه ايضاً. وعندئذ شعر والده بعظم الخسارة التي خسرها بابنه الذي ليس فقط لم يكن يشتغل اصلاً بل البطالة التي ألفها دفعته الى خرق حرمة الادب واصبحت شهرته عاطلة في القرية وان شاء ابوه اصلاحه وردعه مرة ضربه واهانه وكذلك امه او اخته حتى اصبح هذا المنزل بوجوده منزلاً جهنمياً واتصل رويداً رويداً ان يكون هو الآمر الوحيد فيه يشتم كل من لا ينفذ له امراً بسرعة. اما اخته السكينة فكان لها الحظ الاوفر من سوء معاملته ومع وفرة آدابها كان يصفها بالحماقة والجنون اذ انها على رأيه ليست من بنات هذا العصر المتفننات

وكان ابوه قد شرع يفكر بواسطة تحبب اليه الشغل وتردعه عن اعماله فلم يجد سوى منع الدراهم عنه فامتنع عن اعطائه اياها وبعد أيام من ذلك ضاق فارس ذرعاً وبعد شحذ الفكرة طويلاً عول على الذهاب الى اميركا واخذ اخته معه اذ انه سمع بان البنات يشتغلن وينجحن هنالك اكثر من الشبان ولما اظهر فكره لوالديه انتشبت حرب جديدة بينهم كان الانتصار فيها للشاب وضحى الوالدان ابنتهما السكينة على مطامع وندهما الطائش

ولما عوّل فارس واخته على السفر ذهبت زمرّد لتودّع معلماتها الفاضلات اللواتي بذلن الجهد ليصرفنها عن السفر ولما لم يستطعن الى ذلك سبيلاً اهدتها الاخت كارولين معلمتها صورة القلب الالهي وقالت لها: احرصي على هذه الصورة فانها تحرسك وتذكرك بنصائح معلماتك. وايّاكِ ايّاكِ المباشرات الردية والتهاون في امور دينك، فبمثل هذه الارشادات التقويّة زوّدت المعلمة الفاضلة تلميذتها. وفي بعض أيام شهر حزيران من سنة ١٨٩٠ فارق فارس واخته والديهما الكئيبين وابحرا الى مرسيلية ومنها الى نيويورك

ولما ابتعد الولدان شعر ابو نمر بسوء عاقبة بخله الذي حمله على الاقتصاد في النفقات على تربية ابنه تربيةً صالحة مبنيّة على خوفه تعالى وروح التقى الّا انه لات

حين ندم فبقي هو وامرأته يتقلبان على جمر القتاد لا يذوقان بغرقة ولديهما راحة ليلًا ولا نهار

اما فارس فانهُ لمَّا وصل نيويرك تنشق نسيم الحرية المطلقة وخال لهُ كما لكثيرين من شبان عصرنا بانَّ الحرية تتوقف على اتباع الاهواء المنحرفة الَّا انهُ كان في ضلال مبين ولهذا تعرف في الحانات التي أوى اليها بعض الشبان الذين عبدوا امیالهم وشهواتهم والذين من دأبهم سلب آداب الغير ودراهمهم فصادقوه حبًا بالانتفاع من مالهِ وجعلوه ان يتبع طريقهم المعوج وهناك قد فقد تمامًا ما بقي فيهِ من الفطرة السوريَّة الادبية حتى انهُ اهمل اختهُ تمامًا ولم يعد يتذكر بها الَّا نادرًا وكانت المسكينة تطوي أيامًا بدون طعام وهي صابرة على احكام الله وتعدّ ذلك قصاصًا لها لانها لم تستمع الى نصائح الراهبات معلماتها وتبقى في وطنها ناعمة البال. اما فارس فلم يفق من غفلتهِ حتى فقد ما معهُ من المال ونبذهُ اصدقاؤهُ عنهم نبذ النواة وعندئذٍ رجع الى اختهِ وهو يندب حالته ويتأسف على ما فات ولكن كان قد سبق السيف العذل

بقي فارس يومين وجيبه خال من المال واحشاؤهُ من الطعام هو واخته وهذه مقيمة على الحلوة وهو مقيم على المبات والشتائم ولمَّا اشتد عليهِ الجوع طلب الى اختهِ ان تذهب وتتسوَّل ما يسدُّ عوزهما. لكنَّ زمرُّد لم تعتد مثل هذه المهنة الدنيئة والخجل كان من اخس صفاتها فابت وفضلت الموت على التسول في الاسواق وكان رفضها هذا سببًا لاشتداد غيظ اخيها عليها وضربها ضربًا مبرحًا حتى اضطرت صاغرة الى اجراء اوامرهِ وبعد نهار ذاقت فيهِ الامرين من جرَّاء مهنتها هذه الجديدة جمعت بعض دريهمات سدَّت عوزهما. اما اخوها فلمَّا رأى بان زمرُّد قد نجحت بمهنتها هذه صار يكرهها كل يوم على التسوُّل وهو يأخذ منها ما تجمعهُ حتى صارت تودُّ لو تتنجر بموتها من هذه العيشة الشقيَّة

قضت زمرُّد على هذه الحالة بضعة اسابيع وهي تطوف في شوارع المدينة وحدها معرَّضة للاخطار جسدًا ونفسًا حتى اوقفها يومًا احد مواطنيها في جانبهِ فباغتهُ نفسها بمبلغ من الدراهم.

على انها ما لبثت ان افاقت من سكرتها فاستولى عليها القنوط ومزَّق قلبها مهاوز الضمير وضاقت في عينها الدنيا بما رحبت. وبعد ان تجوَّلت الى المساء في انحاء المدينة

هائمة في وجهها كأنها فقدت الشعور عادت الى الكوخ الحقير الذي كانت تسكنهُ واخاها فالقت على اقدامهِ ثمرة براءتها واوت الى فراشها دون ان تذوق لها لفظاً

الّا ان الليل زاد في بلبالها واقضَّ مضجعها وبلغ بها كربها الى ان قامت واخوها نائم وعمدت الى صندوقة متاعها وفتحتها لتأخذ منها منطقتها فتشنق نفسها بها ظنًّا منها انها تتملّص بذلك من صوت ضميرها وعيشتها النكودة

وبينما هي تقلّب ثيابها واذا بصورة القلب الالهيّ التي اتحفتها بها الاخت كارولين في قريتها. فما القت عليها نظرها حتى تحرّكت عواطفها وتذكّرت وصايا معلّمتها والايام السعيدة التي قضتها في التقوى والطهارة. ففعل فيها هذا المنظر فعل الراعي الصالح في النعجة الضالّة ومن ساعتها انطرحت عند اقدام الربّ وذرفت الدموع السخينة على خطيئتها وقصدت ان تكفّر عنها باقرب وقت

فلمّا تنفّس الصبح جمعت بعض حوائجها واخذت شيئاً من الدراهم التي حصلت عليها امس وخرجت من البيت هما دون ان يشعر بها اخوها وسارت الى الكنيسة الارونية التي هي في احد احياء نيويورك البعيدة واقرّت بذنوبها الى الكاهن ثم تزوّدت بالقربان الاقدس ليثبت الرب عزيمتها وينجيها من اخطار هذا العالم الشرّير

ثم قامت وقد عاد الى قلبها سلامهُ ومشت توًّا الى محطّة قريبة وقطعت لها ورقة الى مدينة بوسطون القريبة. ولمّا بلغتها ركبت عجلة تقودها الى المستشفى الكاثوليكي فيها

وبعد قليل واجهت رئيسة المستشفى وطلبت منها ان تقبلها في سلك راهباتها وان شاءت ان تختبر ثباتها فانها مستعدّة ان تخدم المرضى مدّةً الى ان تقف على حسن سلوكها وتتحقّق دعوتها

فرضيت الرئيسة بالطالبة واختبرت فضيلتها مدّة ستّة اشهر وجدتها فيها طوع بنانها ومثالاً للتقوى والنشاط فالبستها ثوب المبتدئات ودعتها بالاخت مرغريتا

فلنعودنّ الان الى فارس وما جرى لهُ بعد فراق اختهِ. فانهُ لمّا قام في ضحى النهار ورأى زمرُّد غائبةً اخذ يطلبها بين المهاجرين من بني جلدتهِ فلم يمكنهُ احد ان يطلعهُ على خبرها. الّا ان الكاهن الارونيّ اكّد لهُ بانها حضرت قدّاسهُ وتقرّبت الى الاسرار لكنّهُ لم يعرف ماذا صار لها بعد ذلك

فدار فارس مدّةً في جهات المدينة لكنّهُ عاد المساء خائبًا قد اخذ منهُ التعب

والقصب معاً كل مأخذ وبقي أياماً على ذلك حتى صرف الى آخر فلس اكتسبته اختهُ بالمغزل واضطر اسد جوعه ان يذهب ويشتغل مع الفعلة باصلاح الطرقات. فذاق الغصص بهذا الشغل وهو « ابن مدارس » لم يعتد على هذه الاعمال الشاقة

فنوى ان يعود الى قريته ليعيش فيها من مال والدهِ فكتب لهُ يطلب منهُ ان يُرسل اليهِ شيئاً من الدراهم ليمكنهُ ان يركب البحر ويقفل راجعاً الى بيته. وفي الكتاب نفسهِ اعلم والدهُ بان زمرد اختهُ قد ماتت بحمّى خبيثة لم تصبر عليها اكثر من يومين. فورد الكتاب على والدي فارس فكان لهما بمنزلة صاعقة انقضّت عليهما والقتهما في لجّة الاحزان. حتى انهما صرفا اسبوعاً لا اكلاً ولا نوماً. وكان ابو نمر مخصوصاً يأبى ان يتسلّى وينسب الى بخلهِ كلَّ البلايا التي حلّت بولديهِ حتى انهُ بزمن قليل انحنت قواهُ وأُصيب بضربة في دماغهِ كانت القاضية على عمرهِ

فبقيت امرأتهُ الارملة غائصةً في بحور الاوجاع حتى خيف ايضاً على حياتها. لكنّها بفضل راحات قلبي يسوع ومريم عادت بعد شهر الى الصحّة وكان اوّل فكرها ان ترسل لابنها ما طلبهُ من الدراهم ليعود الى وطنهِ ويأتيهُ خبر وفاة والدهِ

فلمّا وصلت الى ايدي فارس أركهُ امهِ طار فرحاً لخبر موت والدهِ اذ صارت اليهِ كل اموالهِ بحقّ الوراثة. فبادر الى ركوب سفينة مقلعة الى ليفربول ولم يمرّ عليهِ ثلاثة اسابيع حتى نزل مرفأ بيروت وسار منها توًّا الى قريتهِ

وما كاد يحتلّ بيت والدهِ ويتبادل مع امهِ بعض عبارات التعزية كعادة اهل الوطن حتى همّ في تقييد اموال ابيهِ وتشخيص اعقارهِ فباعها دون علم امهِ بنصف الثمن وفي نيّتهِ ان يعود الى نيويورك فيفتح فيها محلًا تجاريًّا اذ لم يمكنهُ ان يعيش في ضيعتهِ كالقرويين

فحدّث عن حزن امّ فارس ولا حرج لمّا اطّلعت على فكر ولدها بان يتركها وحدها بلا سند ويرجع الى اميركة. فاستحلفتهُ بالله وبكل عزيز عليهِ بألّا يفارقها في هذه الحالة

غير انَّ قلب فارس كان اقسى من الجلمود وبعد ان تظاهر مدّة بتغيير افكارهِ توارى في بعض الأيام والجزّ من طرابلس لئلا تعرف امهُ بسفرهِ. فكان هذا السفر علّة موتها بعد شهر وهي تطلب من الله ان لا يكون موتها كفّارة عن ذنوب ابنها

وبينما كانت تلك الامّ المسكينة تنازع على فراش الاوجاع كان فارس يهنئ نفسهُ بالظفر ويمنّيها بالاماني الطيّبة. فلمّا وصل الى نيويورك اراد ان يشارك رشيدًا احد

السوريين الذين كانوا من معارف والدهِ ابي نمر وهو نازل يومئذ في بوسطن

فركب يوماً قطار الليل ليصبح في بوسطن ويعقد مع رشيد المذكور شركةً تجارية وكان الزمن شتاء والامطار تجري كالسيول. فما لبث البخار أن حمل المسافرين على جناحهِ بسرعة غريبة لا يعرفها غير الاميركيين. اما فارس فانهُ كان في احد قطارات الدرجة الثانية وحدهُ فتوسد المسند ونام

وهو كذلك واذا بالقطار بلغ مكاناً في وادٍ جرفت عليهِ السيول وازاحت قطعة من سكتهِ الحديدية فخرج عن الخط واصطدم بصخور هناك فسُمع لصدمتهِ صوت هائل وطارت قطعهُ شعاعاً في وسط الليل الدامس. اما الركاب فتحطموا وطُعنوا طعناً الا قليلاً منهم جُرحوا بجروح بليغة فنقلوا في غد الى مستشفى بوسطن

وكان فارس من جملة هؤلاء المنكودي الحظ لم يشعر بحالهِ في اليوم الثاني الا وهو على فراش من الاوجاع ينتظر موتهُ من دقيقة الى أخرى. وكان بجانبهِ كاهن وبيدهِ صليب يحنهُ على التوبة ويوجه بنظرهِ الى الابدية. فاذا رأى فارس الكاهن والصليب ردَّ وجههُ عنهما بغض كأنهُ لا يطيق هذا المنظر المفزع وفي الوقت عينهِ اتت راهبة في مقتبل الشباب وتقربت من الجريح لتضمد جراحهُ. فما كادت تراهُ حتى وقعت صارخةً: «اخي فارس»

فاجتمع حولها الحضور وتفحصوا وجهها بالماء. فلما افاقت ترامت بين ذراعي اخيها باكيةً فعرفها فارس وتأثر من منظرها وذكر سوء معاملتهِ لها. فاراد ان يعتذر اليها الا انَّ الاخت مرغريتا طلبت اليهِ ان ينسى كل ما مضى وناشدتهُ الله بان يتكلم في نفسهِ. ولم تزل تسعى عندهُ حتى رقَّت قلبهُ واعدَّتهُ لقبول الاسرار. وبعد ساعة قضاها فارس في كل عواطف التوبة والندامة فاضت نفسهُ مطهَّرة بدموع اختهِ فشكرت الاخت مرغريتا القلب الأقدس الذي سحق نفسها بالندامة وارسلها الى ذلك المستشفى لخلاص شقيقها

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب الالقاب المرعية في فرض الكنيسة المارونية هذه باكورة المصنفات المرعية التي بادر الشرقيون الى تقدمتها للجنة المنعقدة في رومية بنسبة حفلات اليوبيل الحسيني للعجل بلا دنس. والبواكير لذيذة فنهنئ حضرة الابوين الفاضلين يوسف وبطرس حبيقة على همتهما ونتمنى انَّ غيرهم من اهل بلادنا يتسارعون الى الاقتفاء بآثارهم